٩٤٢-٩٥٦: ابن حيان حول الغارات المجرية ومعركة ليشفيلد

دانيال ج. كونيغ

دانيال ج. كونيغ، ٩٤٢-٩٥٦: ابن حيان حول الغارات المجرية ومعركة ليشفيلد، المنشور في: تاريخ العلاقات عبر البحر المتوسط، المجلد ٤، العدد ٢ (٢٠٢٢).

DOI: https://doi.org/10.18148/tmh/2022.4.2.41

الملخص: يتناول هذا المقال فقرة لم تحظَ بعدُ بالاهتمام الكافي في كتاب المقتبس لابن حيّان، تتضمن عرضًا مفصّلًا للغارات الهنغارية على الأندلس. وفي هذا السياق، يشير ابن حيان باقتضاب إلى انتصار الفرنجة الذي وضع حداً لغاراتهم. ونظرًا لأن الهنغاريين لم يُهزموا من الفرنجة إلا في مرتين، وهما معركة في مكان يسمى "ريادة" (Riade) عام ٣٢١هـ/٩٣٣م، ومعركة ليشفيلد (Lechfeld) عام ٣٤٤هـ/٩٥٥م، فإن مقصوده هنا هو المعركة الأخيرة. وفي ضوء ذلك، يُناقش المقال كيف يمكن وضع معرفة ابن حيان بهذا الحدث المحوري في تاريخ أوروبا الوسطى ضمن الإطار الأوسع للعلاقات الأوتونية الأموية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

المصدر

ابن حيّان القرطبي، المقتبس لابن حيّان القرطبي (الجزء الخامس)، تحقيق بيدرو شالميتا وفيديريكو كورينطي، مدريد: المعهد الإسباني العربي ورباط: كلية الآداب، ٣٣٠هـ، الأوراق ٣٢٤-٣٢٥، ص ٤٨١-٤٨٣.

خبر ظهور الترك بالثغر الأعلى

وافى كتاب الوزير القائد، محمد بن هاشم التُجيبي، إلى الناصر لدين الله يوم الخميس لعشر بقين من شوّال منها، ومعه كتاب أخيه، أحمد بن يحيى بن هاشم، وكتاب موسى بن محمد بن طويل، صاحب وَشقَة، وكتاب قاضي القضاة بالثغر، منذر بن سعيد، بما كان من خروج أمّة عظيمة من التُرك الذين خلف القسطنطينية على المسلمين بالثغر الأعلى من الأندلس، انحدروا من بلد الإفرنج بَغتةً في خلق عظيم، احتَلُّوا على مدينة لارِدة، قاصية الثغر الأعلى، فشَنّوا الغارات على حصون العرب، أسروا يحيى بن محمد بن طويل، صاحب بَربَشتُر. (...)

وذكر من يخبُر أمرهم أنّ بلادهم بالشرق الأقصى، وأنّ البجناك منهم في الشرق، مجاورين لهم، وأنّ أرض رومة منهم في القبلة، وبلد القسطنطينية منهم مُنحرِفاً إلى الشرق قليلاً، وفي الجوف منهم مدينة مراوة وسائر بلاد السقالبة، وفي الغرب منهم الشاخشُنش والإفرنجة، وأنهم قطعوا إلى أرض الأندلس مسافة بعيدة بصحراء (...)، وأنّ طريقهم في مَخرَجهم هذا كان على لُنبرديّة، وهي تُجاورهم، بينهم وبينها ثمانية أيّام، وأنّ مساكنهم على نهر طُونة، وأنّهم بادية كالعرب، لا مدائن لهم ولا منازل، وإنّما يسكنون في خيام من لُبود حِلَلاً مُتفرّقة.

فلمّا كان يوم الجُمعة لإحدى عشرة ليلة بَقِيَت من ذي الحِجّة منها، قدِم رَسول محمد بن هاشم، صاحب سرقُسطة، بخمسة رِجال من هؤُلئك الترك أسرى، متروكين على هيئتهم وزِيّهم، فتقدّم بهم إلى القصر المحدث بقرقريط، أسفل قرطبة، لأنّ الناصر (لدين الله) كان مقيماً يومئذٍ فيه للنُزهة، فوقعت عينه عليهم، ثمّ أسلموا، فصيَّرهم في جُملة غِلمانه.

ووافى الخبر من طرطوشة القاصية بخبر افتكاك يحيى بن محمد ابن طويل من أيدي الأتراك غُرّة المحرّم سنة إحدى وثلاثين وثلاث مِائة بعدها بفداء لهم فيه (...)، فكان دخوله إلى قرطبة يوم السبت لِستّ بقين من ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين المذكورة، وكان مقامه بأيدي الكَفَرة في أسرهم ثلاثة وثلاثين يوماً، فسُرّ به الناصر لدين الله وخلع عليه ووصله ووقف به من أخبار هؤلاء اللُعَناء على ما شَفاه وسرّه.

وورده أثَرَ ذلك كتاب عبد الرحمن (بن محمّد) بن النظام، عامل طُرطُشة، بالفتح الذي جرى للفرنجة ومن تجمّع إليهم من الألِسِنة المجُاوِرين لهم على هؤلاء التُرك المتطرّقين لبلادهم، وعِظَم ما نالوه منهم وكُفُوه من عاديتهم، وأنّه لم يدفع منهم إلى بلادهم إلّا الشريد، فكمل الله الصُنع في كَفّ عاديتهم (...)

التأليف والعمل

[١] وُلد ابن حيّان القرطبي (توفي ٤٦٩هـ/١٠٧٦م) عام ٣٧٧هـ/٩٨٧-٩٨٨م في قرطبة. وكان والده كاتبًا للحاجب الأموي أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي عامر المعافري، الملقب بالمنصور (حكم ٣٦٨-٣٩٢هـ/٩٧٨-١٠٠٢م)، وهو الحاكم الفعلي للخلافة الأموية على الأندلس، قبل أن تتفكك في الفترة بين عامي ١٠٠٢ و ١٠٣١م، إلى العديد من الإمارات الصغيرة (المعروفة باسم دول الطوائف).[1] ويبدو أن والد ابن حيان قد وفر له تعليمًا جيدًا؛ إذ تلقى دراسته على يد معلمين مشهورين في العلوم الإسلامية الأساسية وعلوم النحو. وبعد عزل آخِر الخلفاء الأمويين هشام المعتد بالله (حكم ٤١٨-٤٢٢م/١٠٢٧-١٠٣١م)، عُين ابن حيان، بعد أن مرّ بفترة من الفقر، من قبل الوصي الثاني على "جمهورية الأعيان" في قرطبة،[2] أبو الوليد بن الجوهر (حكم ٤٣٥-٤٦١هـ/١٠٤٠-١٠٦٩م) ككاتب في ديوانه (كاتب الإنشاء)، ثم تولى بعد ذلك منصب صاحب الشرطة.[3] ومع ذلك، لا يُعرف الكثير عن حياته، وتوفي عام ٤٦٩هـ/١٠٧٦م.[4]

[٢] يُعتبر ابن حيان من أبرز مؤرّخي الأندلس الإسلامية، الذي تناول تاريخها حتى سقوط الخلافة الأموية. ومن بين أهم مؤلفاته عملان: أولهما كتاب "المتين" الذي كان جزءاً من "التاريخ الكبير" للقرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي المضطرب في الأندلس، والذي يتألف من حوالي ستين مجلداً، إلا أنه لا يُعرف منه اليوم إلا ما حفظته اقتباسات المؤرخين العرب المسلمين اللاحقين.[5] أما عمله الثاني، فهو تاريخ شامل متعدد المجلدات للأندلس الإسلامية، ولم يصلنا منه سوى المجلد الثاني والثالث والخامس والسابع. ولذلك، فإن عنوان هذا العمل الرئيس هو "المقتبِس" أو "المقتبَس"، ويأتي -وفقًا لكل مجلد- مصحوبًا بإضافات أخرى مثل "من أنباء أهل الأندلس"، أو "في تاريخ رجال الأندلس" أو "في أخبار بلد الأندلس".

---

[1] Wasserstein, *The Rise and the Fall*; Scales, *Fall of the Caliphate*.

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، تحقيق كولن وليفي بروفنسال، ج ٣، ص ١٨٥-١٨٨.

Makki, Political History, p. 52; Kennedy, *Muslim Spain and Portugal*, p. 137: "somewhat like Florence under the Medici."

[3] Huici Miranda, Djahwarids.

[4] Huici Miranda, Ibn Ḥayyān, p. 789; Meouak, Ibn Ḥayyān.

[5] Huici Miranda, Ibn Ḥayyān, p. 789; Meouak, Ibn Ḥayyān, pp. 170–171.

[٣] يشير العنوان الرئيسي للعمل إلى منهجية ابن حيان في جمع أخبار المؤرخين الأندلسيين السابقين في شكل اقتباسات وربطها ببعضها من خلال تعليقات يضيفها. وبذلك يتيح كتابه "المقتبِس" الوصول إلى عديد كبير من الأعمال التاريخية العربية الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية، والتي فُقد معظمها أو لا يُعرف منها إلا شذرات محفوظة في الأعمال اللاحقة. وبما أن ابن حيان يشير مراراً إلى كتابات معاصرة، كما هو الحال في النص المقتطف أعلاه من المجلد الخامس، فإن التساؤل يطرح نفسه عمّا إذا لم يكن قد حظي، بصفته كاتبًا في ديوان الجوهريين في العاصمة الأموية السابقة في قرطبة، بإمكانية الاطلاع على مثل تلك الوثائق. وليس من السهل دائمًا التمييز بين "نسيجه السردي" الذي اضافه ابن حيان وبين المادة التي نقلها عن المؤرخين السابقين. ويمكن القول إجمالاً، أنه على الرغم من موقفه المؤيد للأمويين، إلا أنه كان غالباً جامعًا ومحررًا لأعمال سابقيه أكثر منه مؤرخًا مفسرًا لها. ويتضح ذلك أيضاً في النص المذكور المتعلق بالغارات المجرية على الأندلس الذي نناقشه هنا.

المحتويات والإطار التاريخي للمصدر

[٤] يأخذنا النص المقتطف أعلاه إلى الثلث الأخير من عهد عبد الرحمن الثالث (عبد الرحمن الناصر لدين الله، حكم من ٣٠٠هـ/٩١٢م كأميرٍ، ومن ٣١٧–٣٥٠هـ/٩٢٩–٩٦١م كخليفة)، وهو العهد الذي بلغت فيها لأندلس الإسلامية ذروة ازدهارها السياسي والثقافي.[6] ويكشف كتاب "المقتبس" لابن حيان أن عبد الرحمن بذل جهوداً كبيرة، في الفترة ما بين عشرينات القرن العاشر الميلادي والغارات المجرية المذكورة أعلاه في عام٩٤٢م، لمنح الخلافة مكانة رائدة في شبه الجزيرة الإيبيرية. وفي الوقت نفسه، عمل على استقرار علاقاته مع جيرانه المسيحيين من خلال إبرام معاهدات سلام بعد عدة حملات عسكرية ناجحة.[7]

[٥] بعد فترة وجيزة من تولي عبد الرحمن الثالث الحكم، اضطرت الأندلس إلى صد هجمات منسَّقة شنها الجليقيون (Galicians) والباسكيون (Basques) بين عامي ٣٠١هـ/٩١٣م و٣٠٧هـ/٩٢٠م، بما في ذلك الغارات التي شنها أردونيو الثاني (Ordoño II، ملك جليقية ٩١١–٩٢٤م، ومن عام ٩١٤م حكم أيضًا ليون وأستورياس)، على يابرة (Évora) عام ٣٠١هـ/٩١٣م،[8] وعلى ماردة (Mérida) عام ٣٠٣هـ/٩١٥م،[9] وكذلك الغارة التي قام بها سانشو الأول ملك بامبلونة (Sancho I de Pamplona، حكم ٩٠٥–٩٢٥م) على تطيلة في عام ٣٠٣هـ/٩١٥–٩١٦م.[10] فضلًا عن ذلك، شنّ الحاكمان المسيحيان حملتين مشتركتين سنتي ٣٠٥هـ/٩١٧م و٣٠٨هـ/٩٢٠م.[11] وبعد حملة أخرى لأردونيو الثاني في عام ٣٠٧هـ/٩١٩–٩٢٠م،[12] شن المسلمون هجومًا مضادًا استهدف أولًا أردونيو الثاني في جليقية سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م،[13] ثم تقدموا بعد ذلك إلى وسط إقليم الباسك بين سنتي ٣١١–٣١٢هـ/٩٢٣–٩٢٤م.[14]

---

[6] Fierro, *ʿAbd al-Raḥmān III*.

[7] König, *Arabic-Islamic Views*, pp. 302–306.

[8] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٠١هـ، ص ٩٣، ٩٥، ٩٨.

[9] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٠٣هـ، ص ١٢٠.

[10] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، الورقة ٨٣، ٣٠٣هـ، ص ١٢٤.

[11] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، الورقة ٩٤، ٣٠٥هـ، ص ١٤٣، والورقة ١٠٤، ص ١٠٧–١١٠، و ٣٠٨هـ، ص ١٦٠، ١٦٤–١٦٧.

[12] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٠٧هـ، ص ١٥٥، ١٥٦.

[13] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٠٨هـ، ص ١٥٩، و١٦٠، ١٦٣.

[14] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، الورقة ١٢٣، ٣١٢هـ، ص ١٩٢–١٩٧.

[٦] في عهد ابن أردونيو، الملك راميرو الثاني (Ramiro II) ملك ليون (حكم ٩٣١-٩٥٠/٩٥١م)، اتحد مسيحيو الشمال مجددًا بعد نحو عقد من الزمن وشنوا هجومًا عامًا سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م.[15] وقد تم صد هذا الهجوم عبر حشد كبير من الوسائل العسكرية والدبلوماسية. وفي العام نفسه، أبرمت مملكة الباسك المنُهكة، تحت حكم تودا أثناريز (Toda Aznárez، طوطة ابنة أشنار، حكمت ٩٣١-٩٧٠م كوصية على العرش، ثم مستشارة لابنها فيما بعد) معاهدة سلام مع عبد الرحمن الثالث في قلهُرة (Calahorra)،[16] بينما فعل راميرو الثاني الشيء نفسه بعدها بعام واحد.[17] ويبدو أن عبد الرحمن استغل ذلك للتوجه ضد برشلونة، حيث أمر بمهاجمتها بأسطول بحري عام ٣٢٣هـ/٩٣٥م.[18] وفي العام التالي شنّت برشلونة هجومًا مضادًا بدعم من ملك ليون، الذي نقض بذلك معاهدة السلام سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م.[19]

[٧] في السنوات اللاحقة شنّ عبد الرحمن هجومًا عامًا واسعًا، حيث أجبر والي سرقسطة (Zaragoza) المتمرد محمد بن هاشم، على قطع صِلته بالممالك المسيحية في الشمال، بما في ذلك برشلونة في عام ٣٢٥هـ/٩٣٧م.[20] ثم رد عبدالرحمن على دعم تودا أثناريز للتمرد في قرطبة بهجوم على بامبلونة في العام نفسه[21] مصحوبًا بغارة أخرى على غرب جليقية.[22] وفي العام التالي، شن غارتان أخريان على الباسك (٣٢٦هـ/٩٣٨م).[23] ورد عبد الرحمن على التقدم الجليقي الليوني نحو الأندلس بإعدام عددٍ من النبلاء الجليقيين في قرطبة (٣٢٧هـ/٩٣٩م).[24] وفي أثناء هذه المواجهات وقع محمد بن هاشم في الأسر على يد راميرو الثاني لمدة عامين،[25] كما قُتل ابن راميرو.[26] وقد جرى بذلك تقويض معنويات الجليقيين بطريقة ممنهجة عبر غارات أصغر.[27] وفي مواجهة التحضيرات لغارة إسلامية واسعة النطاق على جليقية وليون، طلب راميرو الثاني في النهاية إبرام الصلح (٣٢٨هـ/٩٣٩-٩٤٠م).[28]

[٨] بعد ذلك، أُبرمت معاهدات سلام على جميع الجبهات؛ فقد عُقدت معاهدة سلام مع برشلونة في عام ٣٢٨هـ/٩٤٠م، وذلك مع سونير (Suñer)، ابن ويفريد الأول (Wifred I) (سونير بن جيفريد، حكم ٩١١-٩٤٧م)، وتم تجديدها في العامين التاليين.[29] كما أُبرمت معاهدة سلام أخرى، شملت أيضاً حاكم الباسك غارسيا سانشيز الأول ملك بامبلونة (García Sánchez I de

[15] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٢٢هـ، ص ٣٣٨-٣٤١ وخصوصا ص ٣٤٠.

[16] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، الأوراق ٢٢٥-٢٢٧، ٣٢٢هـ، ص ٣٣٥-٣٣٧.

[17] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٢٣هـ، ص ٣٦٥.

[18] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٢٣هـ، ص ٣٦٦-٣٦٨.

[19] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٢٤هـ، ص ٣٦٩، ٣٧٩.

[20] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٢٥هـ، ص ٤٠٦.

[21] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، الأوراق ٢٧١-٢٧٢، ٣٢٥هـ، ص ٤٠٠.

[22] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٢٦هـ، ص ٤٠٦، ٤٢٥.

[23] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، الأوراق ٢٨٤-٢٨٦، ٣٢٦هـ، ص ٤٢٠-٤٢١، والورقة ٢٨٩، ٣٢٧هـ، ص ٤٤٠.

[24] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٢٧هـ، ص ٤٣١-٤٣٢.

[25] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٢٧هـ، ص ٤٣٥-٤٣٦.

[26] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، الورقة ٢٩٩، ٣٢٧هـ، ص ٤٤٠.

[27] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٢٨هـ، ص ٤٥٠-٤٥١، ٤٥٧.

[28] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٢٨هـ، ص ٤٤٩.

[29] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٢٨هـ، ص ٤٥٤-٤٥٥، ٣٢٩هـ، ص ٤٦٩، ٣٣٠هـ، ص ٤٧٤.

Pamplona، حكم ٩٣٤–٩٧٠م)، وراميرو الثاني ملك ليون في عام ٣٢٩هـ/٩٤١م،[30] ونتج عنها إطلاق سراح محمد بن هاشم في عام ٣٣٠هـ/٩٤٢م.[31] غير أن حالة السلم التي تحققت حديثًا أصبحت غير مستقرة بسبب الغارات الهنغارية في الأندلس.

[٩] يبدو أن تقرير ابن حيان يستند إلى رسائل وصلت إلى بلاط الخليفة في قرطبة من الثغر الأعلى في بداية شهر يوليو من عام ٩٤٢م. وقد هاجمت مجموعة غير معروفة، يبدو أنّها كانت مجهولة حتى ذلك الحين وتصنف على أنها "تركية"، مدينة لاردة (Lérida) وعدة حصون أخرى، كما أنهم أسروا حاكم بربشتر (Barbastro). ويُتيح لنا الاستطراد الإثنوغرافي الذي أورده ابن حيان بوضوح إمكانية تعريف هذه المجموعة بالمجريين أو الهنغاريين. ويصف ابن حيان، استنادًا إلى آراء بعض الخبراء، المنطقة التي سكنت فيها هذه المجموعة وجيرانها المباشرين في (لم يُذكر الاسم صراحة) السهل البانوني (Pannonian Basin)، ومسار تقدمهم عبر شمال إيطاليا إلى الأندلس، ونظام حياتهم الذي وصُف بالبدوي. ويبدو أن هذه المعلومات قد جُمعت، من بين أمور أخرى، بالاعتماد على الأعمال الجغرافية المعاصرة، وخاصةً بمساعدة أسرى الحرب الهنغاريين الذين جيء بهم إلى قرطبة في أوائل سبتمبر ٩٤٢م، حيث استُجوبوا هناك وضُمّوا إلى الجيش الإسلامي كعبيد عسكريين. كما قدم كذلك حاكم مدينة بربشتر، الذي أُطلق سراحه في نفس الشهر وجاء إلى قرطبة في بداية يناير ٩٤٣م، معلومات تفصيلية إضافية. وهنا يبدو أن الحديث عن الوقائع الممتدة من يوليو ٩٤٢ إلى يناير ٩٤٣م قد اكتمل.

[١٠] تشير رسالة والي طرطوشة التي ذكرها ابن حيان إلى انتصار الفرنجة على المجريين أو الهنغاريين. ولم يجنِ الفرنجة غنائم هائلة فحسب، بل يبدو أنهم نجحوا في وضع حد نهائي لأعمال العنف التي قام بها المجريون أو الهنغاريون، إذ استولوا على غنائم كثيرة وأجبروهم على التراجع إلى المنطقة التي استقروا فيها. ولم يُهزم المجريون أو الهنغاريون هزيمة ساحقة على يد الفرنجة إلا مرتين فقط؛ ففي عام ٩٤٣م كان قد مضى عشر سنوات على النصر الذي أحرزه هنري الأول، الملقب بهنري الصياد (Henry I the Fowler، حكم ٩١٢–٩٣٦م دوقية سكسونيا، ومن ٩١٩م مملكة الفرنجة الشرقية) في معركة ريادة (Riade) عام ٩٣٣م.[32] وبالتالي لا يمكن أن تشير رسالة حاكم طرطوشة إلا إلى الانتصار الذي حققه أوتو الأول (.Otto I، حكم ٩٣٦–٩٧٣م كملك للفرنجة الشرقيين، ومن ٩٦٢–٩٧٣م كإمبراطور) على المجريين أو الهنغاريين في معركة ليشفيلد بالقرب من أوجسبورج (Augsburg) عام ٩٥٥م، وهو الانتصار الذي أنهى غاراتهم على وسط وغرب أوروبا، ومثّل بداية اندماج هذه المجموعة في العالم المسيحي اللاتيني.[33] وبالتالي هناك قفزة زمنية في رواية ابن حيان تبلغ حوالي اثني عشر عاماً بين زيارة حاكم مدينة بربشتر، الذي أُطلق سراحه إلى قرطبة سنة٩٤٣م، وخبر انتصار الفرنجة سنة ٩٥٥م. وعلى ما يبدو أن هذا الفاصل الزمني لم يكن واضحًا للمؤرّخ نفسه، إذ يعود بعد ذلك مباشرة إلى تناول أوضاع أحداث عام ٣٣٠هـ/٩٤٢م، عندما يذكر أن راميرو الثاني استغل الفوضى التي سببتها الغزوات المجرية أو الهنغارية في منطقة الثغر الأعلى لخرق معاهدة الصلح المبرمة مع عبد الرحمن الثالث، واستئناف التحرك العسكري ضد الخلافة.[34]

ربط السياق والتحليل والتفسير

[١١] لم يحظ النص المقتبس أعلاه بالاهتمام حتى الآن في البحوث المتعلقة بالتوثيق العربي الإسلامي للهنغاريين، وذلك على الأرجح لأنه لم يكن من المتوقع العثور على معلومات مهمة عن الهنغاريين في عمل يتناول تاريخ الأندلس في العصر الأموي.[35] ولم تُقدَّر

[30] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، الورقة ٣١٦، ٣٢٩هـ، ص ٤٦٧.

[31] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٣٠هـ، ص ٤٧٣–٤٧٥.

[32] Lübke, Riade.

[33] Karpf, Lechfeld.

[34] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٣٠هـ، ص ٤٨٣–٤٨٤.

[35] Salmonat, 1095–1104: Islamgesetze.

ملاحظات ابن حيان إلا باعتبارها توثيقاً عربياً إسلامياً مبكراً لمفهوم البجانكة (Pechenegs).[36] أما فيما يتعلق بالغارات الهنغارية في الأندلس فلم تحظَ حتى الآن بمعالجة مستقلة، باستثناء الدراسة التي قدمها المؤرخ المصري أحمد مختار عبد الفتاح العبادي (١٩٢٢-٢٠١٦م)، حيث يضع النص المصدري المقتبس هنا بكاملهِ في السياق التاريخي الأوسع للتوسع المجري أو الهنغاري نحو الغرب، كما أنه يشير إلى مقطع موازٍ في كتاب العُذري (توفي ٤٧٨هـ/١٠٨٥م).[37] وقد صنف هذا الأخير المجريين/الهنغاريين، الذين وصفهم ابن حيان بـ "الترك"، بأنهم "المجوس".[38] وهو بذلك استخدم مصطلحاً يشير في التاريخ العربي الإسلامي عموماً إلى غير الموحّدين، بما في ذلك الزرادشتيين وأتباع الديانات الإفريقية، علاوة على الفايكنج الوثنيين.[39]

[١٢] ينبغي التأكيد هنا على أهمية هذا النص المقتطف بالنسبة لدراسة العلاقات الأوتونية الأموية، ومعرفة البلاط الأموي في قرطبة بأحوال أوروبا الوسطى. فعلى الأرجح، يُعد هذا النص الإشارة الوحيدة في مصدر عربي إسلامي إلى انتصار الأوتونيين على الهنغاريين فيما يسمى بمعركة ليشفيلد (٩٥٥م). لذا، ستُرَكِّز الفقرات التالية في البداية على مصادر المعلومات المتاحة في قرطبة خلال أربعينيات وخمسينيات القرن العاشر الميلادي بشأن المجريين/الهنغاريين وعلى الوضع العام في أوروبا الوسطى. والغرض من هذا هو توضيح أن بعض هذه المصادر تؤدي بقدرٍ كبير من اليقين إلى مملكة الفرنجة الغربيين وإلى المملكة الأوتونية. من هذا المنطلق، يمكن فهم تقرير ابن حيّان عن الهنغاريين بوصفه جزءًا من سياق العلاقات الأموية الأوتونية، وهو ما يؤكد الأقوال الواردة في "سيرة يوحنا رئيس دير جورزه" (Vita Iohannis abbatis Gorziensis)، المعاصرة، والتي تفيد بأن بلاط الخليفة في قرطبة كان على دراية جيدة جدًا بالأوضاع في المملكة الأوتونية. كذلك تشير "سيرة يوحنا" إلى أن عبد الرحمن الثالث لم يكن بالضرورة على علم بمعركة ليشفيلد عبر واليه في طرطوشة، كما يذكر ابن حيان، بل كان، بحكم علاقات التبادل المكثفة مع أوروبا الوسطى في منتصف القرن العاشر الميلادي، لديه إمكانية الوصول إلى عدة مصادر محتملة للمعلومات عن الأحداث في المملكة الأوتونية.

[١٣] عالج الخليفة، كما تبين بالفعل، المعلومات المتعلقة بالمغيرين المجريين أو الهنغاريين من مصادر متعددة؛ حيث تلقى في ٧ يوليو ٩٤٢م (حوالي ١٣ شوال ٣٣٠هـ) عدة رسائل مهمة من السلطات المحلية في الثغر الأعلى، منها والي (الوزير القائد) وحاكم مدينة سرقسطة محمد بن هاشم التُجيبي (توفي ٣١٨هـ/٩٣٠م)، ومن أخيه أحمد بن يحيى بن هشام، ومن حاكم (صاحب) وشقة موسى بن محمد بن طويل، وكذلك من قاضي القضاة بالثغر الأعلى منذر بن سعيد. ويبدو أن هذه الرسائل وصفت في المقام الأول مسار الغارات المجرية أو الهنغارية. ومن من ناحية أخرى، تمكن الخليفة من تكوين صورة عن الأحوال هناك بمساعدة عدة أشخاص؛ إذ يُقال إن الأسرى الخمسة الذين أرسلهم محمد بن هشام، والذين وصلوا إلى قرطبة في الرابع من سبتمبر سنة ٩٤٢م (تقريباً ٣٣٠هـ)، قد فحصهم الخليفة "متروكين على هيئتهم"، فوقعت عينه عليهم، وربما جرى استجوابهم بالتفصيل قبل أن يتم قبولهم في صفوف العبيد العسكريين. ثم تلقى الخليفة بعد ذلك معلومات أكثر تفصيلاً في السادس من يناير ٩٤٣م (الموافق حوالي ٦ ربيع الآخر ٣٣١هـ)، عندما استقبل حاكم مدينة بربشتر بعد أن أُطلق سراحه، وهو يحيى بن محمد الطويل، الذي قضى ثلاثةً وثلاثين يومًا أسيرًا لدى الهنغاريين. وقد أشبع فضوله بالأخبار؛ إذ أطلعه على "ما وقف به من أخبار هؤلاء اللُعَناء على ما شَفاه وسرّه".

[١٤] لا يمكن اعتبار الاستطراد الإثنوغرافي لابن حيّان، الذي يحدد مناطق استقرار المجريين/الهنغاريين من خلال ذكر جيرانهم وتحديد موقع نهر الدانوب جغرافياً، ويصفهم في الوقت نفسه بالبدو الرُحل، انعكاساً تلقائيًا للمعرفة المتوفرة في بلاط الخليفة عن المجريين/الهنغاريين. و يستشهد ابن حيان في النهاية بخبراء (من يَخبر أمرهم)، ربما عاشوا في عصره في القرن الحادي عشر الميلادي،

[36] Schamiloglu, Name of the Pechenegs.

[37] العبادي، خبر ظهور الترك.

[38] العذري، ترصيع الأخبار، تحقيق الأهواني، ص ٧٢.

[39] König, *Arabic-Islamic Views*, p. 208, FN 120, Index "al-Majūs."

وليس بالضرورة في منتصف القرن العاشر الميلادي. ومع ذلك، يبدو من المعقول أن الخليفة كان قادرًا، استنادًا إلى مصادر المعلومات المتاحة له، على رسم الصورة العامة التقريبية نفسها فيما يتعلق بمناطق استقرار الهنغاريين وجيرانهم ومسار تحركاتهم وطريقتهم في العيش عمومًا، على نحو مماثل لما عرضه ابن حيّان.

[١٥] و كان من بين مصادر معلوماته، في نهاية الأمر، الوالي المستقل نسبياً (الوزير القائد) وصاحب مدينة سرقسطة محمد بن هاشم التُجيبي،[40] الذي أمره الخليفة عام ٣٢٥هـ/٩٣٧م بإنهاء علاقاته بالممالك المسيحية في الشمال، بما في ذلك برشلونة.[41] وأثناء مفاوضات معاهدة السلام مع برشلونة، التي أُبرمت في ٣٢٨هـ/٩٣٩-٩٤٠م، مع سونير كونت برشلونة وجيرونا وأوسونا (Suñer de Barcelona, Girona y Ausona، حكم ٩١١-٩٤٧م)، وجُدّدت بعد عام، تلقى الخليفة عبر مندوبيه أخبارًا عديدة عن المملكة الفرنجية، كما دخل أيضًا في اتصالٍ مع حكّام فرنجة آخرين شرقًا.[42] وقد جرى كجزء من هذه المفاوضات تبادل شامل للمعلومات، حيث أرسل الكونت مبعوثاً إلى البلاط الأموي، والذي قدم في إطارها الأسقف جودمار من جيرونا (Godemar de Girona، في المنصب ٩٤٤-٩٥٤م) للخليفة المستقبلي الحكم الثاني، ابن عبد الرحمن الثالث، قائمة بملوك الفرنجة.[43] وترى بعض الدراسات أن المفاوض الأموي، وهو الموظف اليهودي الرفيع المستوى، حسداي بن شبروط (نشط حوالي عام ٩٠٥ أو ٩١٠ أو ٩١٥ أو ٩٧٠ أو ٩٩٠م)،[44] جلب في هذا السياق صحائف مؤلفات إلى مقاطعة برشلونة، وهي التي استخدمها لاحقًا جربيرت من أورياك (Gerbert of Aurillac، توفي ١٠٠٣م) وهو نفسه البابا سلفستر الثاني (Silvester II، في المنصب ٩٤٦-١٠٠٣م).[45] والأهم هو أن المفاوضات كانت تُجرى أيضًا مع أمراء الفرنجة شرق برشلونة، ومن بينهم على الأرجح هيو من آرل (Hugh of Arles، حكم من ٩٠٣ /٩٠٥م كدوق (dux) ومركيز (marchio) بروفانس (Provence)، و٩٢٦-٩٤٧م كملك لإيطاليا.[46] وبحسب ابن حيان، دعا حسداي عام ٣٢٨هـ/٩٤٠م كبار برشلونة إلى احترام معاهدة السلام، فأرسل عندئذ أحد كبار الفرنجة يُدعى "أونجو" (هيو؟) ومقره "أبل" (آرل؟) بعثة إلى قرطبة. ويقال إنه طلب ضمان سلامة التجار في أراضيه؛ ونتيجة لذلك بدأت السفن من أراضيه تبحر بانتظام إلى سواحل الأندلس.[47] وهكذا، كان هناك في عام٩٤٠م علاقات تجارية منظمة بموجب اتفاق بين الأندلس الأموية ومنطقة نفوذ هيو، التي امتدت على طول الساحل البروفنسالي حتى شمال إيطاليا. وقد أتاحت هذه العلاقات تدفقاً منتظماً لناقلي المعلومات المحتملين من تلك المناطق إلى الأندلس.[48]

[١٦] نعلم أيضًا من ليوتبراند الكريموني (Liudprand of Cremona، توفي ٩٧٠ أو ٩٧٢م) أن هيو تخلى عن حملته ضد حصن فرخشنيط (Fraxinetum) الإسلامي عام ٩٤٢م، لأنه كان يخشى هجوم برنغار، الذي أصبح فيما بعد برنغار الثاني (Berengar

[40] Guichard, Tudjīb; Viguera, Saraḳusṭa.

[41] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٢٥هـ، ص ٤٠٦.

[42] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، ٣٢٨هـ، ص ٤٥٤-٤٥٥.

[43] المسعودي، مروج الذهب، تحقيق باربييه دي مِينَار وبافيه دي كورتاي وبلاّ، ج ٢، البنود ٩١٤-٩١٦، ص ١٤٧-١٤٨.
Al-Masʿūdī, *Les Prairies d'Or*, trans. Barbier de Meynard, Pavet de Courteille, Pellat, vol. 2, pp. 344–345; König, *Arabic-Islamic Views*, pp. 194–195; Gümpel, Gerbert, p. 84.

[44] Gottheil and Kayserling, Hasdai; Cano, Hasday ibn Shaprut.

[45] Gümpel, Gerbert, p. 84; Zuccato, Gerbert, pp. 752, 754–755; Qandil und König, 984: Some Letters.

[46] Sénac, Gabal al-Qilâl, p. 10; Zielinski, Hugo von Arles; Coulet, Provence; Renzi Rizzo, I rapporti diplomatici.

[47] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، الورقة ٣٠٨، ٣٢٨هـ، ص ٤٥٤.
Cronica del Califa ʿAbdarraḥmān III, trans. Viguera and Corriente, § 308, AH 328, pp. 341–342.

[48] Renzi Rizzo, I rapporti diplomatici.

II. ملك إيطاليا، حكم ٩٥٠–٩٦١م)،[49] بعدما عقد تحالفاً مع الهنغاريين.[50] وقد عقد هيو نفسه صلحاً مع الهنغاريين وأخرجهم من إيطاليا ودلهم على الطريق إلى شبه الجزيرة الإيبيرية بمساعدة دليل. وهكذا يتفق ابن حيان وليوتبراند على أن المجريين أو بالأحرى الهنغاريين انتقلوا من شمال إيطاليا إلى شبه الجزيرة الأيبيرية عام ٩٤٢م، بينما يرى ليوتبراند أن المسؤول عن هذا الانتقال إلى الأندلس هو هيو نفسه. ووفقًا لتقدير ليوتبراند، لم يبلغ الهنغاريون قرطبة لأنهم اضطروا إلى السير في طريق عبر منطقة خالية من المياه، وخوفًا على حياة خيولهم، فقد قتلوا دليل هيو وعادوا أدراجهم.[51] وقد كتب ليوتبراند كل هذا في كتابه، الذي يمكن تمسيته بـ "الانتقام" (Antapodosis)، وهو عمل أهداه إلى الأسقف ريكموند من إلفيرا (Recemund of Elvira، المعروف بالعربية باسم: ربيع بن زيد)، أحد المقربين من عبد الرحمن الثالث، الذي أوفده الخليفة إلى البلاط الأوتوني نحو عام ٩٥٥–٩٥٦م.[52]

[١٧] أرسل عبد الرحمن الثالث حوالي عام ٩٥٠م سفارة، لا يُعرف مضمونها، إلى البلاط الأوتوني. وكان على رأسها أسقف مُستعرب، لكنه تُوفي أثناء الرحلة نفسها، وبالتالي فلم يعد رُسل الخليفة إلى قرطبة مع الوفد الأوتوني إلا في عام ٩٥٣م.[53] ويمكن أن نفترض أن كلاً من البعثة الأموية الأصلية والبعثة المقابلة بقيادة يوحنا الجورزي (John of Gorze، توفي ٩٧٤م)، قد جلبتا إلى قرطبة معلومات عن أحوال المملكة الأوتونية، بما في ذلك التهديد الذي يشكله الهنغاريون. وقد مكث يوحنا الجورزي في قرطبة ثلاث سنوات بسبب ملابسات دبلوماسية، وأجرى خلال تلك الفترة عدة محادثات مع ممثلي الخليفة من اليهود والمسيحيين، ومن بينهم مستشار عبد الرحمن الثالث حسداي بن شبروط وأسقف مُستعرب يدعى يوحنا.[54] ونظراً لأنه كان تحت نوعٍ من الإقامة الجبرية، فربما كان من الصعب عليه أن يبقى على اتصال مباشر مع المملكة الأوتونية، ولم يكن في البداية على وجه الخصوص متعاونًا تمامًا مع الخليفة ومسؤوليه.[55] ومن هذا المنطلق، يبدو أنه لم يكن بعد وصوله إلى قرطبة واستقراره فيها عام ٩٥٣م، مصدراً لمعلومات "حديثة" قادمة من المملكة الأوتونية. ومع ذلك، نعلم أنه حوالي عام ٩٥٥م قدم معلومات إلى ريكموند، وهو ربيع بن زيد، عن الأوضاع في المملكة الأوتونية،[56] قبل أن يتوجه الأخير في سفارة ثانية إلى المملكة الأوتونية لحل الملابسات الدبلوماسية الناشئة. وكان ريكموند حينذاك رئيس مكتب التماسات الخليفة الذي يجيد اللغة العربية واللاتينية، وكوفئ على مهمته الدبلوماسية بمنحه كرسي الأسقفية في إلفيرا.[57] وقد تعرّف ريكموند بدوره إلى ليوتبراند الكريموني في البلاط الأوتوني. وفي أعقاب زيارة ليوتبراند للمملكة الأوتونية أهدى كتابه "الانتقام" الذي كتبه بين عامي ٩٥٨ و ٩٦٢م إلى ريكموند، وشرح له وجهة النظر الأوتونية تجاه الجوانب

[49] Liutprandus, Antapodosis, ed. Becker (MGH rer. Germ. in us. schol. 41), lib. 5, cap. 16–17, p. 139; *Aus Liutprand's Werken*, trans. Osten-Sacken and Wattenbach, lib. 5, cap. 16–17, p. 84.

[50] Liutprandus, Antapodosis, ed. Becker (MGH rer. Germ. in us. schol. 41), lib. 2, cap. 42, p. 56; lib. 2, cap. 61, pp. 64–65; *Aus Liutprand's Werken*, trans. Osten-Sacken and Wattenbach, lib. 2, cap. 42, p. 43; lib. 2, cap. 61, p. 44.

[51] Liutprandus, Antapodosis, ed. Becker (MGH rer. Germ. in us. schol. 41), lib. 5, cap. 19, p. 141: "Hoc in tempore rex Hugo datis decem nummorum modiis pacem cum Hungariis fecit, quos ab Italia acceptis obsidibus expulit atque in Hispaniam dato eis praeduce direxit. Quod vero ad Hispaniam et ad civitatem ipsam, in qua rex vester moratur, Cordobam non venerunt, haec causa fuit, quoniam triduo per inaquosam et siti vastam regionem transierunt; putantes itaque equos seseque siti perituors praeduce sibi ab Hugone concesso mortetenus verberato celeriori quam abirent impetu revertuntur."; Liutprand, Antapodosis, trans. Wright, lib. 5, cap. 19, p. 189.

[52] Pellat, Rabīʿ b. Zayd.

[53] *Vita Iohannis*, ed./trans. Jacobsen (MGH SS rer. Germ. in us. schol. 81), cap. 115,1, p. 416: "inter moras episcopus, qui legatis preerat, mortem obit."; Gahbler, *Heilsgeschichte*, pp. 178, 186.

[54] *Vita Iohannis*, ed./trans. Jacobsen (MGH SS rer. Germ. in us. schol. 81), cap. 121,1–2, pp. 432–433: "quidem Iudeum quendam, cui nomen Hasdeu (…)."; ibid., cap. 122,1–2, pp. 434–435: "episcopus quidam Ioannes ad eos missus est (…)."

[55] Walther, Der gescheiterte Dialog; Gahbler, *Heilsgeschichte*, pp. 153–252.

[56] *Vita Iohannis*, ed./trans. Jacobsen (MGH SS rer. Germ. in us. schol. 81), cap. 129, pp. 450–451: "Hoc ei concesso Iohannem conveniens mores et instituta patriae nostrae sollicite disquirit (…)."

[57] *Vita Iohannis*, ed./trans. Jacobsen (MGH SS rer. Germ. in us. schol. 81), cap. 128–129, pp. 448–452; Beumann, *Ottonen*, pp. 85–86.

المختلفة للعلاقات المسيحية الإسلامية في منطقة البحر الأبيض المتوسط.[58] ويذكر فيدوكيند من كورفي (Widukindus monachus Corbeiensis، توفي بعد عام ٩٧٣م) أن وفداً من الساراسينيين (أي المسلمين) وصل أيضًا إلى بلاط أوتو الأول في عام ٩٥٦م، محملاً بهدايا نادرة لتهنئته على انتصاره على الهنغاريين.[59] لكن ليس من الواضح ما إذا كانت هذه هي سفارة ريكموند السالفة الذكر أم لا.

[١٨] يبدو أن عبد الرحمن الثالث كان بحلول عام ٣٤٤هـ/ ٩٥٦م على معرفة عميقة إلى حدٍ ما بالمملكة الأوتونية. فعندما استُدعي المبعوث الأوتوني يوحنا الجورزي للمثول أمامه الخليفة للمرة الثانية في قرطبة عام ٩٥٦م، دار بينهما حديث حول أحوال المملكة الأوتونية. وكان الحوار وفقاً لكتاب "سيرة يوحنا" "عن قوة إمبراطورنا وحكمته، وعن قوة وعدد الجنود والجيش، وعن الشهرة والثروة، وعن الحماسة في الحرب والانتصارات، وغير ذلك من الأمور المشابهة".[60] ويُقال إن عبد الرحمن لم يكتفِ في هذه المحادثة بالإشادة بقوته، بل انتقد بوضوح في مرة واحدة على الأقل الأوضاع في المملكة الأوتونية، رابطًا ذلك بالغارات الهنغارية. ويقال إن عبد الرحمن الثالث انتقد أوتو الأول قائلًا:

> "أنه لا يحتفظ بسلطته وقوته لنفسه وحده، بل يسمح بأن يمارس كل واحد من خاصته قدرًا كبيرًا من السلطة بشكل مستقل، حتى أنه يوزع أجزاء من مملكته بينهم، وكأن هذا سيجعلهم أكثر ولاءً وخضوعًا له. بل إن الأمر على النقيض من ذلك. فهو بذلك إنما يُغذي روح الكبر والتمرد عليه، كما حدث الآن مع صهره الذي أغوى ابنه — ابن الإمبراطور — بشكل غادر، ومارس ضده طغياناً علنيًا، بل وقاد أيضًا ذلك الشعب الأجنبي من الهنغاريين إلى النهب في وسط مملكته".[61]

[١٩] عند قراءة هذا الجزء من كتاب "سيرة يوحنا" من منظور أوتوني بحت، يمكن تصور أن مؤلفه، يوحنا من سانت أرنولف (Iohannes de S. Arnulfo de Metis، توفي ٩٧٧ أو ٩٨٤م)، قد وضع هذه الكلمات على لسان الخليفة، ليوجه بذلك نقد غير مباشر لأوتو الأول.[62] وكان هذا الأخير قد واجه بين عامي ٩٥٣-٩٥٤م تحدياً قوياً إثر تمرد ابنه ليودولف (Liudolf). ويُقال إن ليودولف وأنصاره قد استضافوا الهنغاريين في إطار هذا التمرد، وأمدّوهم بأدلاء للتوجه نحو الغرب.[63] ومن ثم يمكن فهم الملاحظة المنسوبة إلى عبد الرحمن الثالث، بأن الملك أوتو الأول كان يتبع نظاماً لتوزيع موارد السلطة لا يُشكّل خطرًا محتملًا فحسب، بل

---

[58] Liutprandus, Antapodosis, ed. Becker (MGH rer. Germ. in us. schol. 41), p. 1; lib. 1, cap. 1, pp. 3–4; Gahbler, *Heilsgeschichte*, pp. 253–326.

[59] Widukindus, *Rerum gestarum Saxonicarum libri tres*, ed. Hirsch und Lohmann (MGH SS rer. Germ. in us. schol. 60), lib. 3, cap. 56, p. 135: “Crebris victoriis imperator gloriosus factus atque famosus multorum regum ac gentium timorem pariter et favorem promeruit. Unde plurimos legatos suscipit, Romanorum scilicet et Graecorum Sarracenorumque, per eosque diversi generis munera, vasa aurea et argentea, aerea quoque et mira varietate operis distincta, vitrea vasa, eburnea etiam et omni genere modificata stramenta, balsamum et totius generis pigmenta, animalia Saxonibus antea invisa, leones et camelos, simias et strutionies; omniumque circumquaque Christianorum in illo res atque spes sitae.” Leyser, Ends and Means, p. 129.

[60] *Vita Iohannis*, ed./trans. Jacobsen (MGH SS rer. Germ. in us. schol. 81), cap. 135,2, pp. 464–465: “de nostri imperatoris potentia atque prudentia, de robore et copia militum vel exercitus, de gloria et divitiis, de bellorum industria et successibus multaque id generis (…).”

[61] *Vita Iohannis*, ed./trans. Jacobsen (MGH SS rer. Germ. in us. schol. 81), cap. 136,3–4, pp. 464–467: “Quod potestatem vir[t]utis suae non sibi soli retinet, sed passus libere quemque suorum propria uti potestate, ita ut partes regni sui inter eos dividat, quasi eos sibi inde fideliores habeat et subiectiores. Quod longe est; exinde enim superbia et rebellio contra eum nutritur atque paratur, ut nunc in genero ipsius actum est, qui filio ei per perfidiam subducto publicam tirannidem contra eum exercuit, ad hoc ut gentem externam Ungrorum per media quaeque regnorum suorum depopulanda transduxerit.” *La Vie de Jean*, trans. Parisse, cap. 136, pp. 160–162; Althoff, *Ottonen*, pp. 111–112.

[62] Gahbler, *Heilsgeschichte*, pp. 211, 221–222, 238–239.

[63] Beumann, *Ottonen*, pp. 75–76; Althoff, *Ottonen*, pp. 103–104.

خطرًا فعليًا عليه، بوصفه نقدًا داخليًا صادرًا عن كاتبٍ لسير القدّيسين (hagiography) في المنطقة الحدودية بين المملكة الأوتونية ومملكة الفرنجة الغربية. أما كاتب "سيرة يوحنا"[64] التي بدأت حوالي عام ٩٧٤م، أي بعد عام من وفاة أوتو الأول، فربما قد وضع تلك الملاحظات على لسان الخليفة عبد الرحمن الثالث بهدف الإشارة إلى أوجه القصور في ممارسة أوتو الأول للحكم، وتقديمها للأجيال القادمة بوصفها مثالاً تحذيريًا.

[٢٠] يُعارض مثل هذا التفسير، الذي يعدّ حوار الخليفة مع يوحنا الجورزي مجرد سرد أدبي خالص، وجود العديد من العلاقات المباشرة وغير المباشرة بين عبد الرحمن الثالث وحاشيته من جهة، والفضاء الفرنجي من جهة أخرى، وهي العلاقات التي انبثقت عنها مصادر محتملة عديدة للمعلومات عن المملكة الأوتونية. وفي نفس الوقت تقريبًا نشأت أيضًا اتصالات مباشرة بين حسداي بن شبروط، المسؤول اليهودي الرفيع الذي تولى كذلك شؤون السفارة الأوتونية لدي عبد الرحمن الثالث، وبين مملكة الخزر. ويبدو أن هذه الاتصالات كانت تدار عبر طرق السفر في أوروبا الوسطى، وكذلك عبر محطات وسيطة ووسطاء يهود في المملكة الأوتونية.[65]

[٢١] انطلاقًا من هذه الخلفية، يمكن قراءة حديث عبد الرحمن الثالث في "سيرة يوحنا" على أنه نسخة مصاغة بأسلوب أدبي لتعبيرٍ أصيل عن رأي واقعي. كما أن ذلك يعكس صورة الدولة الأموية في الأندلس عن ذاتها في مرحلة ذروة قوتها، حيث كانت تُدار بنظام مركزي صارم، مقارنة بالمملكة الأوتونية التي كان يُعترف بأهميتها، لكن يُنظر إليها في الوقت نفسه على أنها تعاني من نقص بسبب طابعها الإقطاعي اللامركزي.[66] ويبدو من المعقول تمامًا أن الخليفة الأموي، الذي استثمر موارد هائلة في تثبيت المناطق الحدودية لدولته منذ عشرينيات القرن العاشر الميلادي على أقصى تقدير، قد رأى أن النظام الأوتوني القائم على منح المناصب والأراضي والامتيازات للعظماء المتنافسين في المملكة، وهو ما يُختزل عادة تحت مسمى "النظام الإقطاعي"، كان نظامًا محفوفًا بالمخاطر.[67] وقد أظهر تعاون أحد الأبناء المتمردين مع الهنغاريين الذين بلغت قدرتهم التدميرية أقصى تخوم الدولة الأموية الأندلسية، مدى التجاوزات الخطيرة التي يمكن أن تترتب على مثل هذا النظام في توزيع موارد السلطة. كما أن الخليفة نفسه قد مر، في نهاية المطاف، بتجارب مماثلة مع بني تجُيب في الثغر الأعلى، الذين قاوموا الجهود المركزية للخليفة في ثلاثينيات القرن العاشر، وكان ممثلهم محمد بن هاشم، الذي كان مستقلًا بشكل كبير.[68]

[٢٢] يلعب كتاب "سيرة يوحنا" في هذا السياق دورًا أساسيًا، لأنه يؤيد قول ابن حيان بأن عبد الرحمن الثالث قد علم بانتصار كبير للفرنجة، والذي طُرد على أثره المجريون/الهنغاريون إلى مناطق توطّنهم على ضفاف نهر الدانوب، وبذلك وضع حداً لنصف قرن من غارات المجريين أو الهنغاريين في وسط وغرب أوروبا. ووفقاً لما ذكره ابن حيان، فإن عبد الرحمن الثالث قد علم بهذا النصر من عامله عبد الرحمن بن النظام، والي طرطوشة (عامل طرطوشة)، وهو النصر الذي يمكن، بالنظر لأهميته، ربطه بالانتصار الأوتوني في معركة ليشفيلد. ومع ذلك، يبدو من المعقول أكثر أن يكون عبد الرحمن قد سمع عن تمرد ليودولف، وعن الغارات الهنغارية على المملكة الأوتونية، وأخيراً عن معركة ليشفيلد أيضًا، من خلال علاقاته الدبلوماسية المباشرة مع البلاط الأوتوني؛ إذا يصعب تخيل أن معركة ليشفيلد، التي وقعت عام ٩٥٥م، لم تكن جزءاً من الحوار بين الخليفة ويوحنا الجورزي عام ٩٥٦م. وأخيرًا ووفقًا لكتاب "سيرة

[64] Gahbler, *Heilsgeschichte*, pp. 159, 167.
[65] Abraham ibn Daud, *Sefer Ha-Qabbalah / The Book of Tradition*, ed./trans. Cohen, p. 93: "In the latter area [far as the Volga] there were a nation of Khazars who converted to Judaism, and their King Joseph sent a letter to R. Hisdai the Nasi b. R. Isaac b. Shaprut informing him that he and all of his people pursue Rabbanite usage scrupulously." Marcus, *Jew*, pp. 255–261. The Khazar king mentions as Ḥasday's envoy a certain: "Isaac, son of Eliezer, a Jew of the land of Germany"; Dunlop, *History of the Jewish Khazars*, pp. 133–170, dates the correspondence between 953 (arrival of John) and 961 (death of ʿAbd al-Raḥmān).
[66] Keller, *Ottonen*, pp. 39–45; Althoff, *Ottonen*, pp. 111–112; König, *Arabic-Islamic Views*, pp. 196–197; Obenaus, Im Auftrag Ottos des Großen, p. 28.
[67] Patzold, *Lehnswesen*.
[68] Guichard, Tudjīb.

يوحنا" فقد تحدثا "عن قوة إمبراطورنا وحكمته، وعن قوة وعدد الجنود والجيش، وعن الشهرة والثروة، وعن الحماسة في الحرب والانتصارات، وغير ذلك من الأمور المشابهة (...)"،[69] وذلك بعد أن هنأ وفدٌ من الساراسينيين أوتو الأول على انتصاره، وفقاً لما ذكره فيدوكيند من كورفي.[70]

[٢٣] بالنظر إلى حقيقة أن الخليفة ربط في هذا الحديث بشكل مباشر بين تمرد ليودولف والغارات الهنغارية، يفترض فرناندو فالديس فرناندیز (Fernando Valdés Fernández) أن المسألة الهنغارية كانت في قلب محور هذا الحديث. فوفقاً للخليفة، لم يكن مرور الهنغاريين عبر الأراضي الأوتونية ممكناً إلا بسبب تمرد ليودولف، وهو ما اعتبره الخليفة نتيجة لممارسات الحكم اللامركزية التي كانت متبعة في المملكة الأوتونية في عهد أوتو الأول.[71] ومن غير الراجح أن الخليفة حمّل ممارسات الحكم عند أوتو الأول، وتمرد ليودولف على وجه الخصوص، مسؤولية الغارات الهنغارية في الأندلس. فلقد وقع الغزو الهنغاري للأندلس عام ٩٤٢م، أي قبل تمرد ليودولف بأكثر من عقد من الزمان. كما يذكر ابن حيان أن الهنغاريين لم يأتوا عبر المملكة الأوتونية على الإطلاق، بل "كان طريق زحفهم عبر لومبارديا (لونبردية) (...)". كما أن هذه المنطقة، في عام ٩٤٢م، كانت خاضعة لحكم هيو من آرل وفيينّي (Vienne)، الذي فرض سيطرته على شمال إيطاليا بين عامي ٩٢٦ و٩٤٧م. ووفقًا لما يرويه ليوتبراند الكريموني لمُخاطبه ريكموند من إلفيرا في كتاب "الانتقام"، فإن هيو كان قد وجّه الهنغاريين نحو الأندلس،[72] وذلك بعد أن انضم عام ٩٤٠م إلى معاهدة السلام التي أبرمها كونتات برشلونة مع عبد الرحمن لتعزيز التجارة مع الأندلس.[73]

[٢٤] ومع ذلك يبدو من المعقول أن عبد الرحمن الثالث كان قد استطاع تكوين صورة شاملة نسبيًا للأوضاع في أوروبا الوسطى بين عامي ٩٤٠ و٩٥٦م تقريبًا. فقد فتحت مفاوضات السلام المتعدّدة المسارات مع الحكام المسيحيين في شبه الجزيرة الإيبيرية عام ٩٤٠م مجالاً للعلاقات باتجاه الشرق، نحو منطقة حكم هيو من آرل. أما الغارة الهنغارية عام ٩٤٢م، الذي وصفها ابن حيان، فقد أظهرت الحاجة الملحة للتعامل مع تلك المنطقة بشكل أكثر وضوحًا. وخلال تبادل السفارات على مدار ست سنوات مع الأوتونيين، والذي ربما تزامن مع اتصالات حسداي بن شبروط مع الخزر عبر طرق أوروبا الوسطى، تلقى عبد الرحمن معلومات وفيرة عن تحركات الهنغاريين، ودورهم في المملكة الأوتونية وعن نظام الحكم فيها. وبعد الغارة الهنغارية عام ٩٤٢م، كان من المصلحة الجيوستراتيجية للخليفة الأموي إقامة اتصال مع المملكة الأوتونية. وبالتالي، كان انتصار الأوتونيين في معركة ليشفيلد ذا أهمية أيضًا بالنسبة للأندلس الأموية. وعلى الرغم من أنه لا يمكن بشكل دقيق تحديد كيفية معرفة الخليفة بهذا النصر، إلا أن حقيقة معرفته بذلك لا يدل عليها ابن حيان فحسب، بل أيضًا العلاقات العديدة الموثقة مع الأوتونيين في خمسينات القرن العاشر الميلادي.

(الترجمة: رجب محمد عبد العاطي؛ المراجعة: أحمد محمد شعير)

---

[69] Vita Iohannis, ed./trans. Jacobsen (MGH SS rer. Germ. in us. schol. 81), cap. 135,2, pp. 464–465: "de nostri imperatoris potentia atque prudentia, de robore et copia militum vel exercitus, de gloria et divitiis, de bellorum industria et successibus multaque id generis (…)."

[70] Widukindus, *Rerum gestarum Saxonicarum libri tres*, ed. Hirsch und Lohmann (MGH SS rer. Germ. in us. schol. 60), lib. 3, cap. 56, p. 135.

[71] Valdés Fernández, De embajadas, pp. 28–29.

[72] Liutprandus, Antapodosis, ed. Becker (MGH rer. Germ. in us. schol. 41), lib. V, cap. 19, p. 141: "pacem cum Hungariis fecit, quos ab Italia acceptis obsidibus expulit atque in Hispaniam dato eis praeduce direxit"; Liutprand, Antapodosis, trans. Wright, lib. 5, cap. 19, p. 189.

[73] ابن حيّان، المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق شالميتا وكورينطي، الورقة ٣٠٨، عام ٣٢٨هـ، ص ٤٥٤.

Cronica del Califa, trans. Viguera und Corriente, § 308, AH 328, pp. 341–342.

اصدارات المصدر وترجماته

ابن حيّان، المقتبس لابن حيّان القرطبي (الجزء الخامس)، تحقيق بيدرو شالميتا (Pedro Chalmeta) وفيديريكو كورينطي (Federico Corriente)، مدريد: المعهد الإسباني العربي، ١٩٧٩.

Cronica del Califa ʿAbdarraḥmān III an-Nāṣir entre los años 912 y 942 [al-muqtabis V], trans. María Jesús Viguera und Federico Corriente, Zaragoza: Anubar ediciones, 1981.

المصادر المقتبسة غير العربية

Abraham ibn Daud, *Sefer Ha-Qabbalah / The Book of Tradition*, ed./trans. Gerson D. Cohen, Philadelphia: The Jewish Society of America, 1967.

Al-Masʿūdī, *Les Prairies d'Or*, trans. Charles Barbier de Meynard, Abel Pavet de Courteille, Charles Pellat, 5 vols, Paris: Société Asiatique, 1962–1997 [French translation].

La Vie de Jean, abbé de Gorze, trans. Michel Parisse, Paris: Picard, 1999 [French translation].

Liutprandus, Antapodosis, in: *Aus Liutprand's Werken*, trans. Karl v. d. Osten-Sacken, newly ed. by Wilhelm Wattenbach (Geschichtsschreiber der deutschen Vorzeit 29), Leipzig: Dyk, 1940 [German translation].

Liutprandus, Antapodosis, in: *Liutprandi Opera / Die Werke Liutprands von Cremona*, ed. Joseph Becker (MGH SS rer. Germ. in us. schol. 41), Hanover, Leipzig: Hahn, 1915, pp. 1–158.

Liutprandus, Antapodosis, in: *The Works of Liudprand of Cremona*, trans. F. A. Wright, London: George Routledge & Sons, 1930, pp. 25–212 [English translation].

Vita Iohannis, ed./trans. Peter Christian Jacobsen, *Die Geschichte vom Leben des Johannes, Abt des Klosters Gorze* (MGH SS rer. Germ. in us. schol. 81), Wiesbaden: Harrassowitz, 2016 [Edition und deutsche Übersetzung].

Widukindus monachus Corbeiensis, *Rerum gestarum Saxonicarum libri tres*, ed. Paul Hirsch und H.-E. Lohmann (MGH SS rer. Germ. in us. schol. 60), Hanover: Hahn, 1935.

المصادر المقتبسة العربية

ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق جورج كولن (George S. Colin) وإفاريست ليفي بروفنسال (Évariste Lévi-Provençal)، ٣ مجلدات، بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٠-١٩٨٣.

العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد: المعهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ١٩٦٥.

المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق شارل باربييه دي مِينَار (Charles Barbier de Meynard) وآبل بافيه دي كورتاي (Abel Pavet de Courteille) وشارل بلاّ (Charles Pellat)، ٧ مجلدات، بيروت: الجامعة اللبنانية، ١٩٦٥-١٩٧٩.

المراجع المقتبسة والتفصيلية عربية

العبادي، أحمد مختار: خبر ظهور الترك بالثغر الأعلى في سنة ٣٣٠هـ/١٠٧٦م، المنشور في: المناهل، ج ٢٩ (١٩٨٤)، ص ٣٣٢–٤٢٢، https://archive.alsharekh.org/Articles/202/16805/378035.

المراجع المقتبسة والتفصيلية غير العربية

Althoff, Gerd: *Die Ottonen. Königsherrschaft ohne Staat*, Stuttgart: Kohlhammer, ^{3}2013.

Beumann, Helmut: *Die Ottonen*, 5. Vol., Stuttgart: Kohlhammer, 2000.

Cano, M. J.: Hasday ibn Shaprut, in: *Encyclopedia of Jews in the Islamic World* 2 (2010), pp. 367–369.

Coulet, N.: Provence, I. Vom Frühmittelalter bis zum 11. Jh., in *Lexikon des Mittelalters* 7 (1995), Cols. 276–277.

Dunlop, Douglas M.: *The History of the Jewish Khazars*, New York: Schocken Books, 1967.

Fierro, Maribel: *ʿAbd al-Rahman III. The First Cordoban Caliph*, Oxford: Oneworld, 2005.

Gahbler, Katharina: *Zwischen Heilsgeschichte und politischer Propaganda. Darstellungsweisen und Darstellungsmuster von Sarazenen aus der Zeit Ottos I.*, Husum: Matthiesen, 2019.

Gottheil, Richard; Kayserlin, Mayer: Ḥasdai, Abu Yusuf (ben Isaac ben Ezra) Ibn Shaprut (Shabrut, Shafrut, Bashrut, or, incorrectly Shprot; calles also Ḥasdai ha-Nasi), in: *Jewish Encyclopedia* 6 (1906), pp. 248–249, URL: https://www.jewishencyclopedia.com/articles/7304-hasdai-abu-yusuf-ben-isaac-ben-ezra-ibn-shaprut. (access: 18.03.2023).

Guichard, Pierre: Tudjīb, in: *Encyclopaedia of Islam, Second Edition* 10 (2000), pp. 582–584, DOI: http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_COM_1242.

Gümpel, Karl Werner: Gerbert von Aurillac und Spanien, in: *Archivum Bobiense* 24 (2002), pp. 79–96.

Huici Miranda, A.: Djahwarids, in: *Encyclopaedia of Islam, Second Edition* 2 (1991), p. 389, DOI: http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_1939.

Huici Miranda, A.: Ibn Ḥayyān, in: *Encyclopaedia of Islam, Second Edition* 3 (1986), pp. 789–790, DOI: http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_3196.

Karpf, Ernst: Lechfeld, Schlacht auf dem, in: *Lexikon des Mittelalters* 5 (1991), col. 1786.

Keller, Hagen: *Die Ottonen*, Munich: C.H. Beck, ^{6}2021.

Kennedy, Hugh: *Muslim Spain and Portugal: A Political History of al-Andalus*, New York: Routledge, 2014.

König, Daniel G.: *Arabic-Islamic Views of the Latin West. Tracing the Emergence of Medieval Europe*, Oxford: Oxford University Press, 2015.

Leyser, Konrad: Ends and Means in Liutprand of Cremona, in: J. D. Howard-Johnston (ed.), *Byzantium and the West c. 850–c.1200*, Amsterdam: Hakkert, 1988, pp. 119–143.

Lübke, Christian: Riade, in: *Lexikon des Mittelalters* 7 (1995), cols 801–802.

Makki, Mahmoud: The Political History of al-Andalus (92/711-897/1492), in: Salma Khadra Jayyusi und Manuela Marin (eds), *The Legacy of Muslim Spain*, Bd. 1, Leiden: Brill, 1994, pp. 3–87.

Marcus, Jacob Rader: *The Jew in the Medieval World. A Sourcebook, 315–1791*, revised by Marc Saperstein, Cincinnati: Hebrew Union College Press, 1999.

Meouak, Mohamed: Ibn Ḥayyān, in: David Thomas und Alex Mallett (eds), *Christian-Muslim Relations. A Bibliographical History. Volume 3 (1050-1200)*, Leiden: Brill, 2011, pp. 161–171, DOI: https://doi.org/10.1163/ej.9789004195158.i-804.81.

Obenaus, Andreas: Im Auftrag Ottos des Großen nach Córdoba und Konstantinopel; in: Birigt Tremml-Werner, Eberhard Crailsheim (eds), *Audienzen und Allianzen. Interkulturelle Diplomatie in Asien und Europa vom 8. bis zum 18. Jahrhundert*, Wien: Mandelbaum, 2015, pp. 14–32.

Patzold, Steffen: *Das Lehnswesen*, Munich, C.H. Beck: 2012.

Pellat, Charles: Rabīʿ b. Zayd, in: *Encyclopaedia of Islam, Second Edition* 8 (1995), pp. 351–352, DOI: http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_6159.

Qandil, Samer Sayed; König, Daniel G.: 984: Some Letters by Gerbert d'Aurillac Dealing with "Arabic" Mathematics and Astrology, in: *Transmediterranean History* 3/1 (2022), DOI: https://doi.org/10.18148/tmh/2021.3.1.63.

Renzi Rizzo, Catia: I rapporti diplomatici fra il re Ugo di Provenza e il califfo ʻAbd ar-Ramân III: fonti cristiane e fonti arabe a confronto, in: *Reti medievali Rivista* 3/2 (2002), pp. 1–24, DOI: https://doi.org/10.6092/1593-2214/261.

Salmonat, Eva: 1095–1104: Die Islamgesetze des ungarischen Königs Coloman, in: *Transmediterrane Geschichte* 4/2 (2022), DOI: https://doi.org/10.18148/tmh/2022.4.2.49.

Scales, Peter C.: *The Fall of the Caliphate of Córdoba: Berbers and Andalusis in Conflict*, Leiden: Brill, 1994.

Schamiloglu, Uli: The Name of the Petchenegs in Ibn Hayyan's Al-muqtabas, in: *Journal of Turkish Studies* 8 (1984), pp. 215–222.

Sénac, Philippe: Contribution à l'étude des incursions musulmanes dans l'Occident chrétien: la localisation du Gabal al-Qilâl, in: *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée* 31 (1981), pp. 7–14, DOI: https://doi.org/10.3406/remmm.1981.1900.

Valdés Fernández, Fernando: De embajadas y regalos entre califas y emperadores, in: *Awraq* 7 (2013), pp. 25–41.

Viguera, María Jesús, Sarakusṭa, in: *Encyclopaedia of Islam, Second Edition* 9 (1997), pp. 36–38, DOI: http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_6621.

Walther, Helmut G.: Der gescheiterte Dialog. Das Ottonische Reich und der Islam, in: Albert Zimmermann et al. (eds), *Orientalische Kultur und europäisches Mittelalter*, Berlin und New York: De Gruyter, 1985, pp. 20–44.

Wasserstein, David J.: *The Rise and the Fall of the Party Kings: Politics and Society in Islamic Spain 1002–1086*, Princeton: Princeton University Press, 1985.

Zielinski, H.: Hugo v. Arles und Vienne, Kg. v. Italien, in: *Lexikon des Mittelalters* 5 (1991), col. 158.

Zuccato, Marco: Gerbert of Aurillac and a Tenth-Century Jewish Channel for the Transmission of Arabic Science to the West, in: *Speculum* 80 (2005), pp. 742–763.